الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الكلية :الآداب واللغات

القسم: اللغة والآداب العربي

عنوان الليسانس: الأدب العربي **الشعبة: دراسات أدبية**

التخصص: أدب عربي

السنة الثالثة

السداسي :الخامس

المادة : جماليات السرد العربي القديم

محاضرات في مقياس:

جماليات السرد العربي القديم

الأستاذة: دربالي وهيبة.

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

السنة الجامعية-2021-2022

عنوان المحاضرة:أثر السرد العربي في الآداب الغربية

ظهر تأثير النصوص السردية العربية القديمة في الأعمال السردية الغربية،وخصوصًا في الآداب الإيطالية والفرنسية والإنجليزية،فقد نهل أدباء الغرب الكثير من التراث السرد العربي، واستلهموا منه معظم إبداعاتهم الأدبية، وفيمايلي سنتوقف عند أهم الأعمال السردية الغربية المتأثرة بالنصوص السردية العربية القديمة :

1- مفهوم التأثير :

في البداية يمكن تحديد مفهوم التأثير بشكل عام «على أنه الفعل الذي يتركه مؤلف أدبي على مؤلف آخر رغم مايفصل بينهما من زمن،وهو يشكل إذن قسمًا من الاتصال الأدبي،وبالتالي أحد أشكال التواصل».

نقول بوجود تأثير وتأثر بين السرد العربي القديم والآداب الغربية الحديثة في حال وجود تشابه بين النصوص السردية العربية القديمة والغربية الحديثة مع وجود تباعد زمني بينهما، ورغم اختلاف المذاهب الأدبية للأدباء .

أولًا-أثر السرد العجائبي العربي في الآداب الأوروبية الحديثة :

شكلت الحكايات العجيبة ذات الموضوع الخرافي أحد أبرز مواضيع السردية العربية القديمة،وتعددت مظاهر العجائبي في السرد العربي القديم، وسنقف عند أثر السرد العربي العجائبي في الآداب الغربية الحديثة.

1- أثر رسالة الغفران للمعري في الأدب الايطالي:

تعددت الترجمات الأوروبية لرسالة الغفران للمعري،وكانت محط دراسة النقاد والأدباء«وبدأ هذا التقليد بلوشيه Blocheh سنة 1901بنشره"المصادر الشرقية للكوميديا الإلهية"،وتبعه أسين بالاسيوسAsin Palacios الذي ارتبط اسمه أكثر من غيره بالأطروحات المعروفة عن التأثير الديني الإسلامي في الكوميديا الإلهية».

أشار الباحث بلوشيه إلى الجذور العربية الإسلامية للكوميديا الإلهية،وبالبحث والمقارنة نعثر على وجود مصادر الثقافة العربية في نص الكوميديا الإلهية،وهي في الأساس رجعت إلى رسالة الغفران لأبي العلاء المعري،وقد تأثر بها الشاعر الايطالي العظيم"دانتياللليغيري" Dante والكوميديا (الملهاة)COPMÉDIE«ومن القواسم المشتركة لمختلف تجسيدات الكوميديا هي تكاثر النعوت التي أضيفت إلى كلمة"كوميديا" للدلالة على نبرتها"مرحة"دامعة"مؤثرة "رصينة"طبيعتهاالتخلقية واقعية شعرية نوعية الشخصيات بطولية، وأخيرًا المظهر الأخلاقي أو التعليمي».

استلهم "دانتي الليغيري"الكثير من الخصائص الفنية من رسالة الغفران في عمله الكوميديا الإلهية،ومن الواضح أن نصه الكوميديا الإلهية له غايات دينية وتعليمية،جمعت بين متناقضات منها الفرح والحزن والمأساة الملهاة مثل رسالة الغفران التي«هي رسالة نثرية موضوعها خيالي تحدث فيها عن زيارة للعالم الآخر،وتمثل جديد الرسالة فيموضوعها الجديد،الذي تجاوز الأطر المعقولة إلى الحديث عن عالم الجنة والنار».

إن فضاء السرد في رسالة الغفران خيالي فيه عرض لعوالم الآخرة بمافيها الجنة والنار،وأجرى المعري في فضاءه الافتراضي محاورات مع شعراء في الجاهلية والإسلام،والغاية من الرسالة هو طرحه رؤية فلسفية خاصة،ولقد عثر النقاد على تأثر دانتي برسالة الغفران لأبي العلاء المعري عند«الشاعر الايطالي العظيم "دانتي الليغيري" Dante Alighieri الذي كان على صلة بثقافة المسلمين،ولايبعد أن يكون قد اطلع على قصة الإسراء والمعراج كما اطلع على رسالة الغفران للمعري فجاءت "الكوميديا الآلهة"متأثرة بها،وأشهر من درس الصلة بين التراث الإسلامي وكوميديا دانتي المستشرق الاسباني "آسين بلاثيون».

كان للنقاد في النقد الغربي فضل السبق في الإشارة إلى الآثار العربية الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي،ولايستبعد أن يكون دانتي الليغيري" قد اطلع على ترجمات إسبانية لرسالة الغفران للمعري«وتأثر دانتي إلى مدى بعيد

عميق،وهويؤلف"الكوميديا الإلهية"بالإسلام،والتصورات الإسلامية للآخرة ،وأكد المستشرق الإسباني ميكيل بلاثيوس في كتابه"قصة المعراج في الكوميديا الإلهية"عام1919عن الأثر الفعلي الذي تركته قصة المعراج العربية على ملحمة دانتي».

إن أثرالمجال الثقافي الإسلامي في السرد الإيطالي واضح في الكوميديا الإلهية،ففكرة المعراج هي إسلامية وفدت إلى الأدب الإيطالي عن طريق الترجمات الغربية المتكررة لرسالة الغفران،وأكد النقاد على محاكاة الأديب الإيطالي دانتي الليجيري لرسالة الغفران،ومن أبرزهم الناقد السوري قسطاكي الحمصي الذي«ساق أدلة على أوجه التشابه الواضحة بين كوميديا دانتي ورسالة أبي العلاء،التي دفعت كثيرًا من الباحثين في الشرق والغرب إلى القول بوجود صلة مابين العملين يتفاوت الباحثون في تقدير مداهامابين قائل بالتأثر الكامل الجلي،وقائل بمجرد توارد الخواطر والأفكار».

تفاوتت آراء النقاد بين من يقول بتأثر دانتي الكامل برسالةالغفران،وبين من يقول بتأثر جزئي،وحتى نجد رأي توارد الخواطر والأفكار، ولاشك أننا نجد أن« رسالة الغفران تشبه"الكوميديا الإلهية" لدانته في نوع الرحلة وأقسامها وكثير من مواقفها وقد هذا التشابه بعض الباحثين إلى القول بأن أبا العلاء أثر في دانتيه».

أثبتت الدراسات المقارنة تأثر دانتي في نصه الكوميديا الإلهية" برسالة الغفران للمعري ،وإن القول بوجود شبه بين العملين– الكوميديا دانتي ورسالة أبي العلاء–سببه عامل التأثر والتأثير بين الثقافتين العربية والغربية،وقد أشار الناقد السوري قسطاكي الحمصي إلى أوجه الشبه بين الكوميديا ورسالة الغفران«من مثل محاولة ابن القارح أن يمدح رضوان بالدخول رغم ذلك يستشفع بالزهراء رضي الله عنها،ويورد المؤلف موقفًا مشابهًا من الكوميديا الإلهية حيث ترسل بياتريس حبيبة الشاعر"فرجيل"لينقذ حبيبها من الجحيم،ومثل اجتماع ابن القارح في الفردوس مع الشعراء الزنادقة واجتماع دانتي في جهنم مع عدد من الشعراء الوثنيين،ومثل الملاعنة التي تمت بين ابن القارح والشيطان، حيث اطلع عليه ابن القارح من الجنة، وهو يعذب في الجحيم،وطلب الشيطان من الزبانية أن يجذبوا ابن القارح إلى أعماق جهنم،وقد ورد مثل هذا الموقف مع دانتي،وفرجيل في الجحيم،ومثل حديث المعري عن الشجرة التي صادفها ابن القارح في الجنة،وحديث دانتي عن الشجرة التي تثمر دائمًا،ولايسقطورقها،ومثل حديث المعري عن الحور اللاتي أطحن بابن القارح بعد عودته إلى قصره في الجنة،والنسوان الحسان النورانيات،اللاتي أطحن بدانتي وبياتريس في الطبقة الثانية من طبقات الفردوس».

ورد توافق بين الكوميديا ورسالة الغفران في نمط تصوير الشخصيات والفضاء المكاني وتوجه السرد العجائبي ، ومن أوجه الشبه بين الكوميديا ورسالة الغفران كذلك طلب الشفاعة لدخول الجنة من طرف ابن القارح وبياتريس ولقاء ابن القارح في الجنة للشعراء الزنادقة،وموقف مشابه له تمثل في لقاء دانتي في جهنم مع الشعراء الوثنيين، ومصير ابن القارح في الجحيم ومثله لقي وفرجيل نفس المصير ،وصورة الشجرة في الجنة،التي صادفها ابن القارح ودانتي،وتشابه ابن القارح وبياتريس في موقف المعاناة،وكل تلك المتشابهات،التي أوردها قسطاكي الحمصي بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية هي دليل قاطع على أن نص رسالة الغفران هو الأصل في الإبداع السردي العجائبي،وكذلك ورد التشابه بين العملين في المواقف مثل موقف ابن القارح في الجحيم،ومثله لقي فرجيل نفس المصير ،ومن المشاهد تكرر مشهد حوريات الجنة في الإطاحة بابن القارح ودانتي وبياتريس على التوالي، ودرس الناقد الاسباني «مجيل آسين بلاثيوس تفاصيل صور الجنة والنار وأرض الأعراف في القص الإسلامي كله صورة صورة،ومضى يلتمسها في أقسام ملحمة الشاعر الإلهي (لقب دانتي) كما كان يلقب،فوجد أن المقارنة لاتقتصر على الصور العامة فحسب،بل تتعدى ذلك إلى التفاصيل الصغيرة ،بل إن هناك كلمات وتعبيرات عربية دخلت ملحمة دانتي بمقابلاتها الصغيرة ،بل إن هناك كلمات وتعبيرات عربية دخلت دانتي بمقابلاتها الإيطالية الدقيقة،ومثلًا نجد

الإطار العام للقصتين واحد ،ففي المعراج الإسلامي:يعرج رسول ﷺ إلى السماء في صحبة جبريل عليه السلام،وفي الكوميديا الإلهية لدانتي يطوف دانتي بعالم مابعد الموت في صحبة الشاعر "فرجيل"أولًا ثم في صحبة "بياترس"».

مماهو مؤكد أن"الكوميديا الإلهية لدانتي"أخذت عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري،فمحاكاتها للصور والمشاهد العامة،وهناك الكثير من أساليب التعبير العربية في الكوميديا الإلهية،ومنه نقول بوجود روح القص العربية في "الكوميديا الإلهية" ومثلما عرج رسول ﷺ إلى السموات مع الملك جبريل عليه السلام كذلك فعل دانتي في الكوميديا الإلهية ،وتجول مع "فرجيل"و "بياترس في عوالم الجنة والنار .

ولقد أكدت العديد من الدراسات المقارنة على وجود آثار عربية إسلامية في الكوميديا، فحقيقة المعراج تختص بالمفهوم الإسلامي «واطلع دانتي على رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ،فجاءت قصيدته الكبرى "الكوميديا الإلهية"متأثرة بها،وكما قابل أبو العلاء المعري امرأ القيس والنابغة، وغيرهما من الجاهلين يصلون نار الجحيم،لأنهم لم يدركوا الإسلام ، قابل دانتي في الجحيم كذلك شعراء اللاتين الذين ماتوا على الكفر،ولم يدركوا المسيحية».

ظهر الجانب العجائبي في رسالة الغفران عند التقاء المعري بشعراء الجاهلية في الجحيم،فهم ماتوا قبل الإسلام،وكذلك قابل دانتي في الجحيم شعراء اللاتين الذين ماتوا قبل المسيحية ،وهي مفارقة عجيبة ،وكذلك نذكر لقاء المعري لشعراء مخضرمين في الجنة،ومنهم الشاعر الحطيئة العبسي«الذي يمل من خطاب أهل النار فينصرف إلى قصره المشيد،فإذا صار على ميل أوملين،ذكر أنه ماسأل عن مهلهل التغلبي"ولاعن المرقشين وأنه أغفل الشنفرى وتأبط شرًّا فيرجع على أدراجه،فيقف بذلك الموقف يُنادي:أين عديُّ بن ربيعة؟ فيقال:زدْ في البيان».

نلاحظ التقاء المعري بالشعراء من أمثال الشنفرى وتأبط شرًّا والمهلهل ،وهم شعراء عاشوا في الجاهلية،ولم يدركوا الإسلام،وعثرنا على مشهد مماثل له عثرنا عليه عند دانتي«في جنة الفردوس الأرضي"دانتي يكمل تطهرهُ،وبأمر من بياتريس تقود الحوريات السبع دانتي إلى مياه أيونو،التي تعيد ذاكرة الخير،بعد أن محيا لي ذاكرة الإثم والخطيئة،وبذلك يتم تطهر دانتي،ويصبح صالحًا للصعود إلى النجوم"».

وهنا مشهد حوريات الجنة يقمن باستمالة دانتي،وهو في الجنة يحاول التطهر من ذنوبه، وهو نفس مشهد ابن القارح في رسالة الغفران،حيث التقى بحور العين في الجنة«ويخلو بحوريتين له من الحور العين،فإذا بهره مايراهُ من الجمال قال:أعزز على بهلاك "الكندي"(هو امرؤ القيس)».

نجد مشهد حوريات الجنة يقمن باستمالة الشعراء،وكذلك مشهد مماثل له في الكوميديا الإلهية«وهكذا العذراء الطيبةُ أخذتني من يدي وصاحت بصوت متواضع "ستاتيوس" تعالَ أنت معه "فانصاع لأمرها ».

لاحظناعرض نفس مشهد حوريات الجنة،وعملهن في جذب ابن القارح ودانتي وبياتريس،وفي سياق التوافقات بين الكوميديا ورسالة الغفران أشار د.إبراهيم عبد الرحمن إلى حقيقة تأثر دانتي برسالة الغفران لأبي العلاء المعري«حيث اتخذ المعري من وصف مايقع في الجنة والناررموزًا لقضايا ومواقف كانت تصطرع في وجدانه..وينتهي الباحث إلى أن الشخصيات والأحداث التي رسمها المعري كانت تصويرًا رمزيًا لبعض آرائه في معاصريه،الذين لم يستطع أن يبدي آراءه فيهم صراحة وهذا نفس مافعله دانتي بعد ذلك في ملحمته،وإن لم يقدم الباحث من الكوميديا الإلهية،وصورها ورمزها مايدعم به هذا الرأي».

حسب د.إبراهيم عبد الرحمن وقع تقليد دانتي لرسالة الغفران لأبي العلاء المعري في اتخاذ الجنة والنار كمسرح للأحداث القصصية،وجعل الشخصيات كرموز تحفي آراءه المبطنة،وأكد النقاد على قضية التأثير العربي والإسلامي للكوميديا الإلهية،وهناك العديد من الآراء العربية والغربية للنقاد أكدت تقليد دانتي للمعري،وقارند.عبد الرحيم أحمد بين رسالة الغفران

لأبي العلاء المعري وكوميديا دانتي،وتوصل إلى القول:«إنها مؤلف ثلاثي يشبه تقريبًا مؤلف دانتي،وماقاله جورجي زيدان:بأن ماصنعه المعري في رسالة الغفران يشبه ماكتبه أعظم شعراء الطليان في روايته المسماة "الرواية الإلهية" ،ويشبه ذلك ماكتبه مُلتن الشاعر الإنجليزي في روايته "ضياع الفردوس واسترجاعه"».

أكدت العديد من الدراسات المقارنة على حقيقة تأثر "دانتي"برسالة الغفران للمعري،وظهر ذلك بوضوح في نفس الموضوع المتناول،وهو أحداث قصصية عجائبية مسرحها الجنة والنار،وكذلك اقتبس منه نموذج الشخصيات،وطريقة السرد العجائبية وهو نفس موقف الباحث بطرس البستاني«في إشارته إلى رسالة الغفران،وربطها بكل من الكوميديا الإلهية لدانتي والفردوس المفقود لملتن ، وإن لم يذكر العملين بصراحة».

استهوى أدب المعراج العربي أدباء أوروبا فألفوا فيه نصوص شعرية ونثرية،وتجدر الإشارة إلى اختلاف العقيدة عند كل من المعري ودانتي «فالمحور الأساسي الذي يجعلنا نفهم دانتي وموقعه،ومواقفه في الكوميديا وغير الكوميديا هو الوجدانية المسيحية الغربية».

مماهومعلوم أن مرجعية دانتي مسيحية غربية عكس مرجعية المعري هي الإسلام،وبالتالي جاءت رؤية دانتي في الكوميديا الإلهية وفق ثقافته المسيحية،وكذلك نذكر أن«القراء يدخلون الكوميديا،ولديهم شعورمسبق بأن الكوميديا صخرة وطيدة للإيمان المسيحي في حين أنها أعظم مصدر للشكوك وضعضعة الإيمان».

كانت الكوميديا الإلهية لدانتي مصدر للشك وزعزعة يقين المسيحي بخلاف رسالة الغفران، فهي دعوة للتأمل ووحدانية الله ﷻ،ومنه نصل إلى القول بأنه على الرغم من اختلاف الغايات والمرجعيات عند المعري ودانتي، فإنهما توحدا في الموضوع العجائبي ،وطابع القصص الخرافي.

2- أثر قصص "ألف ليلة وليلة" في الآداب الغربية الحديثة :

وفدت قصص"ألف ليلة وليلة" إلى الآداب الأوروبية الحديثة عن طريق الترجمات الأوروبية المتتالية،وأثرت في تطور فنون الأدب الغربي الحديث«وأثر ألف ليلة وليلة نجده عند أديب عالمي فرنسي هو موليير أو مكسيم جوركي أو تولستوي في روسيا، وغير هؤلاء نجد كثيرين تأثروا بألف ليلة وليلة في كتاباتهم الأدبية خصوصًا الروائية أو الفنية».

شكلت قصص ألف ليلة وليلة أصل إبداعات أوروبية كثيرة للأدباء صنعوا السردية الأوروبية خصوصًا في جابن الرواية .

أ -أثر قصص"ألف ليلة وليلة" في القصة اليونانية:

ظهرت بدايات التأثر بنص "ألف ليلة وليلة" في القصة اليونانية حيث «عرض الأستاذ غرنباوم لجانب منها حين درس مواطن التشابه بين الحكاية اليونانيةGreek novel وقصص ألف ليلة وليلة، وأهم ماجاء فيهما :

1-بين قصص ألف ليلة وليلة والحكايات اليونانية مشابه ،إذ تعتمد كلتاهما على تجاوب محبين يطاردهما القدر.

2- كلتا القصتين تهتم بالأحداث لابالأبطال، وإذا حاولت الحكاية اليونانية إبراز دور المرأة ،فإن القصة العربية تحاول إبراز دور الرجل (البطل).

3-الحب من أول نظرة مشترك بين القصص اليونانية والعربية،وهو في كلتيهما

4-كان أبطال الحكايات اليونانية والقصص العربية في ألف ليلة وليلة يتمتعون بقسط وافرمن الجمال ،وتهتم ألف ليلة على وجه الخصوص بتصوير الأشخاص أكثر من تصوير المناظر الطبيعية .

5-قد تكون مواقف المناظرة (المفاضلة بالجنسين ،أيهما أحق بالحب) إغريقية الأصل.

6-في ألف ليلة وليلة كما في الحكاية اليونانية صديق للبطل لايفارقه،وله شأن هام في تطوير القصة».

ورد التشابه بين النصين "ألف ليلة وليلة"والحكاية اليونانيةGreek novel من حيث الشخصيات الغرامية الخاضعة لسلطة القدر،وفي كلتا القصتين وقع الاهتمام بالأحداث لا بالشخصيات،ومحاولة إبراز عنصر الجمال،ومع ملاحظة أن اهتمام ألف ليلة وليلةبتصوير الأشخاص أكثر من وصف جمال المناظر الطبيعية،وكذلك وردت المفاضلة بين الجنسين المرأة والرجل وهكذا أخذت الحكاية اليونانية الكثير عن قصص ألف ليلة وليلة.

ب-أثر"ألف ليلة وليلة" في القصة الإسبانية:

ذاع صيت حكايات ألف ليلة وليلة" في الآداب الغربية أكثر من غيرها من القصص العربية الأخرى «وتعد "ألف وليلة وليلة"من القصص الشرقية التي اتجهت في رحلتها إلى الغرب،وليس من الميسور إحصاء الترجمات أو الدراسات التي ظفر بها هذا الكتاب،وتذكرنا الحكاية التي رواها الكاتب الاسباني"لويسثاباتا دي شابس" في كتابه "المنتخبات" بحكاية في ألف ليلة وليلة التي حدثت في بغداد، حيث يقع البطل المخذول في مأزق متشابه».

تزايدت الترجمات الأوروبية لحكايات"ألف وليلة وليلة"،واستلهم العديد من الأدباء منها إبداعاتهم الفنية،ومنهم الكاتب الاسباني"لويسثاباتا دي شابس"في قصصه،الذي اقتبس منها بعض المشاهد القصصية،ومنهاوقع البطل في المشاكل،وتجدر الإشارة إلى«أنه تجاوز تأثير"ألف ليلة وليلة"البلاد العربية إلى أوروباعن طريق ترجمة"جالان"لها،الذي غيَّر فيها بماياناسب الذوق الأوروبي».

جرى تعديل النسق السردي في قصص"ألف ليلة وليلة"بما يتوافق مع نمط القصص الأوروبي،وتأثير القصة العربية في البيكارسيك واضح،وشكل لون السرد في الليالي العربية مصدر إلهام للأدباء الأوروبيين ،فألفوا على موالها حكايات مماثله لها في المضمون،وظهر أثر السرد في قصص "ألف ليلة وليلة"في سرد العديد من القصص الإسبانية«فتحولت الراوية شهرزاد إلى رمز أفروديتي في حضورها المعنوي،الذي يخلط الجنس بالمعرفة،ومن يقرأ ألف ليلة وليلة يجد قصة "الحصان الأبنوس" وليدة هذه القصة،وأن هذه القصة قد انتقلت عن ألف ليلة وليلة مع شيء من التعديل نقلًا عن إسبانيا إلى أوروبا وكتبها "تشوسر" ونتحدث عن دور القصة العربية في إنماء هذا الفن بالأدب الأوروبي،حيث وفدت إليه من جهات مختلفة أكبر جهة منها الأندلس العربية المسلمة،وقد كان من بين تأثيرها الملموس أنها في نطاق القصة غيرت كثيرًا من طابع الملحمة».

إن الطابع الشعبي العربي لقصص "ألف ليلة وليلة" أكسبها خصوصية لتلفت انتباه كتاب أسبان من أمثال"برينو"،وفي هذا الصدد«أكدت الكاتبة إيزابيل أليندي دَيْنها لشهرزاد بطلة"ألف ليلة وليلة"راوية بلاد العرب العجيبة، التي سحرت بلسانها الذهبي سلطانًا جائرًا على امتداد ألف ليلة وليلة».

ظهر أثر قصص"ألف ليلة وليلة"في العديد من القصص الإسبانية،وتهافت الأدباء الإسبان لمحاكاتها ،وكانت شهرزاد أنموذج في رواية الحكايات وسرد الأخبار«وإن الباحثين تعقبوا طائفة من موضوعات قصص شهرزاد،فوجدوا لها صدى في قصص إسبانية،ومن ذلك المعجزة الثالثة والعشرون لبرينو».

شكلت حكايات "ألف ليلة وليلة" مادة دسمة للأدباء الأسبان،فأخذوا منها الكثير من الموضوعات،ومع العلم أن« كتاب ألف ليلة وليلة نسيج غير متجانس من الأنواع والأساليب،فإن صور الليالي لن تخضع لحدود الصيغ والقواعد البيانيةالضابطة لعموم المشابهة والمجاورة،بل ستتمثل تركيبًا نوعيًا،ومحصلة لدينامية لتساند والجدل بين المكونات،والسمات الأسلوبية في الأنواع الحكائيةالمميزة:عجائبية كانت أوخرافيةأوشطاريةأوهزلية».

إن خاصية التنوع في قصص"ألف ليلة وليلة"أكسبتها جمالية سردية،ففيها نجد حكايات عجائبية وخرافية وشطارية وهزلية واجتماعية ، وكلها وليدة البيئة الاجتماعية ،وكل تلك الأنواع ظهرت في القصة الإسبانية .

ج- أثر قصص "ألف ليلة وليلة" في الأدب الفرنسي :

استفاد الأدب الفرنسي من الحكايات العربية،ومن أهمها حكايات ألف ليلة وليلة،وفي هذا السياق«تدين أوروبا في معرفتها ألف ليلة وليلة للمستشرق الفرنسي الشهير"أنتوان جالان" 1704 في ترجمة الحكايات العربية إلى الفرنسية ويرصد عبد المنعم محمد جاسم في ألف ليلة في الآداب الغربية،حيث يصبح الغرب مدينًا للشرق،الذي أنقذه من ظلمات فقدان الخيال الحكائي».

ومما وفرته قصص"ألف ليلة وليلة" العربية هو المخيال القصصي ، وأعطت نفسًا جديدًا لجو القصص الفرنسي،الذي وجد لونًا جديدًا في السرد الأدبي العربي«ولقد ترجم "غالان" أول مرة جزء من ألف ليلة وليلة"، وهو يظن أنه لايضيف إلى الأدب الفرنسي إلا نوعًا جديدًا،وفور صدور ترجمة"غالان"أصبحت حكايات ألف ليلة وليلة أنجح الكتب،وأكثرها رواجًا».

ولذلك لانستغرب عندما نجد أصداء تلك القصص العربية في روايات أوروبية حديثة،وعندما عقد النقاد مقارنة بين قصص"ألف ليلة وليلة"العربية وراوية"البحث عن الزمن الضائع "للكاتب الفرنسي"مارسيل بروست"«فمن حيث الدلالة الاجتماعية نجد أن الجارية في ألف ليلة وليلة هي دومًا مولعة بالآخر محبة له متعلقة به مستسلمة خاضعة،إذا أحبت ليس لمشاعرها حدود،وأما إذا انتقلنا إلى "البحث عن الزمن الضائع"فنجد أشكالًا من هذا الصراع،فيتخذ تارة شكل الصراع الداخلي صراع حول الهوية الجنسية،فالسيد دي شارلوس يعاني من الهوية الجنسانية في قصة "سادوم وعمورة"وتشترك"ألف ليلة وليلة"وراوية"في البحث عن الزمن الضائع"في ظاهرة التركيز على الفوارق الاجتماعية، ففي"ألف ليلة وليلة "تم التركيز على طبقتين رئيسين الطبقة العليا والطبقة الدنيا المهمشة في حين أن الالتفات إلى الطبقة المتوسطة لايأتي إلا لمامًا».

اقتبس الأديب الفرنسي مارسيل بروست من ألف ليلة وليلة"الموضوع الاجتماعي في روايته"البحث عن الزمن الضائع" فتحدث عن الطبقة المهمشة في المجتمع الفرنسي،وكذلك تعرض لموضوع الجنس على طريقة "ألف ليلة وليلة "ولقد تناولنا في الدلالة الاجتماعية ثلاثة عناصر هي: المرأة :وقد عرفنا الأدوار التي لعبتها ،وماتمثله صورة المرأة في "ألف ليلة وليلة" و"البحث عن الزمن الضائع"كما تناولنا المنظومة الجنسية،وبيّنا كيف اخترقت هذه المنظومة في المتنين، فالرجل في ألف ليلة وليلة يعاني من فائض رجولة في حين يختلف الأمر في "البحث عن الزمن الضائع"،وكما تناولنا الطبقية من باب المقارنة بين فئات المجتمع،فوجدنا أن في ألف ليلة وليلة قد يختل المعيار وتنتفي المقارنة حينما يتعلق الأمر بالجارية،التي أحيانًا تتساوى في المرتبة مع الحرة كذلك "البحث عن الزمن الضائع" حيث يخترق معيار الطبقية » .

كانت المرأة محور الحديث في "ألف ليلة وليلة" و"البحث عن الزمن الضائع"،وموضوع المرأة أفضى إلى موضع الجنس الذي برزت فيه فحولة الرجل الشرقي في ألف ليلة وليلة ، ولانجد ذلك التناول في "البحث عن الزمن الضائع" كما جرى الحديث عن الطبقية وأثارها على المجتمع، وكل تلك المواضيع هي مألوفة لدى الكتاب ،ولكن تناولها يختلف من كاتب لآخر.

*موضوع الجنس :

يعد موضوع الجنس من الطابوهات الاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي،وظهر ذلك في أن«الجارية في "ألف ليلة وليلة" هي دائمًا مولعة بالآخر محبة له متعلقة به مستسلمة خاضعة،إذا أحبت ليس لمشاعرها حدود،وأما إذا انتقلنا إلى في"البحث عن الزمن الضائع،فنجد أشكالًا من هذا الصراع ،فيتخذ تارة شكل الصراع الداخلي صراع حول الهوية الجنسية فالسيد دي شارلوس يعاني من الهوية الجنسانية في قصة سادوم وعمورة "Sodome et Gomorrhe

حيث القصة التي تتحدث عن التحول الجنساني أو المثلية الجنسية :

«La premiére apparition des hommes-femmes descendants de ceux des habitants se Sodome qui furent épargnes par le feux du ciel»

أخذ الروائي مارسيل بروست موضوع الجنس من "ألف ليلة وليلة"، وبرزت قضية الجندر في عرض علاقة المرأة بالرجل وهي علاقة وفاق في نص "ألف ليلة وليلة"، وأما في"البحث عن الزمن الضائع" فموضوع الجنسي أخذ منحى آخر ، فتحدث مارسيل بروست عن موضع المثلية الجنسية، وهي من الأمور المحرمة في المجتمعات العربية الإسلامية .

*علاقة الشخصيات بالمكان :

جرى الحديث عن الفضاء المكاني ودوره في العملين القصصيين «فعلاقة الإنسان بالمكان في "ألف ليلة وليلة" علاقة تخويفية،وفي بحثنا عن زمن مفقود"نفس العلاقات التي وجدناها في"ألف ليلة وليلة "فالعلاقة التخويفية تبدو من خلال النص :

«A Combray,tous les jours des la fin de l`après –midi longtemps avant le moment ou il faudrait me mettre au lit et rester sans dormir ,loui de ma mére et ma grand–mére, ma chambre a coucher redevenait le point fixe et douloureux de mes préoccupations»

فالعلاقة بالغرفة تبدو للسارد أشبه بغرفة الاحزان لهذا يخافها؛لأنها تثير في نفسه كل هذه المشاعر المرتبكة،وهو بعيد عن أمه وجدته».

وإذا كانت دلالة الفضاء المكاني سلبية في جميع رواية "البحث عن الزمن الضائع" لمارسيل بروست، فإننا نجد الفضاء المكاني إيجابية في بعض القصص من"ألف ليلة وليلة"ومنها ماجاء على لسان شهرزاد «:"بلغني أن الشيخ إبراهيم دخل القاعة ومعه على نور الدين والجارية ،وجلسوا في بعض الشبابيك، فتذكر على نور الدين المقاساة التي مضت له فقال والله إن هذا المكان في غاية الحسن لقد فكرني بما مضى».

هنا دلالة المكان إيجابية حملت آثار حسنة في نفس على نور الدين، وعلاقة على نور الدين بالمكان علاقة ألفة ومحبة ونجد التوافق في موضوع الجنس والخيانة بين ألف ليلة وليلة"ورواية "والبحث عن الزمن الضائع،فورد في نص"ألف ليلة وليلة"«لاشيء سيبطل دهاء النساء أو يمنعهن من الخيانة ،وعاد الأخوان إلى الهند،فقرر شهريار التزوج كل ليلة بشابة عذراء،وقتلها فجرًا ،ورغم ذلك قررت بنت وزيره ،شهرزاد قبل الزواج منه».

هنا نعثر على صورة المرأة الخائنة التي لاقت عقوبتها بالقتل،وفي قصص ألف ليلة وليلة قالت شهرزاد: «"بلغني أيها الملك السعيد لملكة "بدور نامت" بجانب قمر الزمان،وجرى منها ماجرى،فلما رأت ذلك"ميمونة"فرحت غاية الفرح وقالت: "لدهنش"هل رأيت ياملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقي،وكيف فعل معشوقي من التيه والدلال، فلاشك أن معشوقي أحسن من معشوقتك،ولكن عفوت عنك».

دار حديث شهرزاد حول سلوك المرأة الخائنة،وهو نجد تداول نفس موضوع الخيانة في رواية"البحث عن الزمن الضائع"فذكر مارسيل بروست بعض«أعمال أوديت والقبلات،التي ربما منحتها سوف تضحى،بعدمايتم شفاؤه منها عديمة الأذى شأن قبلات الكثيرات غيرها من النساء،ولكن كون الفضول المؤلم الذي يحرك "سوزان"خلفها الآن».

صوَّر الأديب"مارسيل بروست"علاقة حب"سوزان مع أوديت،وأخذ "مارسيل بروست الكثير من مشاهد من"قصص"ألف ليلة وليلة"موضوع إشكال الجنس والطبقية الاجتماعية،وخصوصًا أن تلك المواضيع كانت قليلة التناول في الأدب الفرنسي«وقد اشتهرت في الأدب الغربي قصة أبي القاسم ونيكلوت،وقد ألفها الشاعر الفرنسي"أولدأنينف" في القرن الثاني عشر للميلاد».

شكلت الحكايات العربية مصدر إلهام لعدد كبير من لأدباء والشعراء الفرنسيين«فخلال النصف الأول من القرن العشرين نجد أثرًا مباشرًا لألف ليلة وليلة في القصتين كتبهما "هنري دي رنييه"عن ترمل شهرزاد وضمنهما مجموعته "رحلة الحب"هما

أقرب القصص الفرنسي الحديث إلى"ألف ليلة وليلة" يتخيل رنييه"أن شهريار يموت أثناء استماعه إلى حكايات شهرزاد التي لاتلبث أن تخلفه في الحكم ».

استلهم "هنري دي رنييه" أحداث قصته من قصص"ألف ليلة وليلة" بحيث أنه غيَّر مجرى بعض الأحداث الأصلية في نصألف ليلة وليلة"،وامتد أثر"ألف ليلة وليلة" إلى النصوص الشعرية الفرنسية«وماإن ترجمت "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية حتى سرى إيحاؤها سريانًا عنيفًا إلى الشعر الفرنسي لتكون أحد مصادر "قصائد الأمثال" التي كتبها "فلوريون"».

ظهرت براعة الراوي الشعبي في القصص العربي ممثلة في شخصية شهرزاد، ونرى ريادة قصص ألف ليلة وليلة من حيث العرض السردي المميز،فتعد أن حكايات ألف ليلة وليلة من الثراء والتنوع والتشويق..الخ،وكل هذه العناصر جعلت تأثيرها مستمرًا في الآداب العالمية،وكان للثقافة الشعبية الدور الكبير في هذا التنوع،وتكمن أهمية كتاب "ألف ليلة وليلة"في عرضه لمواضيع شاملة جمعت بين ثقافات إنسانية عديدة، وصوَّرت قصصه عادات وتقاليد الشعوب الشرقية.

د- أثر قصص "ألف ليلة وليلة" في الأدب الانجليزي :

لم يكن الأديب الانجليزي بعيدًا عن التأثر بقصص "ألف ليلة وليلة"«ففي انكلترا اعتبرت قصة "سكواير"لجيو فري شوسر من "ألف ليلة وليلة" العربية،وللقاص والشاعر الإنكليزي "جورج مريدث" قصة نثرية بعنوان"شبكة" تقوم على نموذج عربي أصيل متنقل وعلى طراز"ألف ليلة وليلة"».

حاول الأديب "جورج مريدث" محاكاة أسلوب "ألف ليلة وليلة في قصته"شبكة"،وقبله سبقت محاولة "جيو فري شوسر" في قصته"سكواير" وزيادة على ذلك نذكر أن«أثر قصص"ألف ليلة وليلة"في الشعر الانجليزي،وكان روبرت ساوذي" شاعر البلاط البريطاني ممن تأثروا بألف ليلة وليلة"إلى حد كبير،لذلك فإن أجمل قصائده تلك التي أسماها"ثعلبة الفتاك"»

سرى تأثير قصص"ألف ليلة وليلة"في الشعر الانجليزي الحديث،وورد التأثيرفي شعر "روبرت ساوذي" ،وهنا نلاحظ بأنه جرى محاكاة قصص "ألف ليلة وليلة" وهي قصص نثرية في أسلوب شعري .

و- أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الألماني :

يعد "جوته" أعظم أديب ألماني تأثر بفنون السرد العربي،وكان"جوته" مولعًا بقراءة حكايات ألف ليلة وليلة «ولقد استدعى "جوته" في الكثير من أشعاره شهرزاد،وعبر على لسانها عن بواعث معينة،وألبسها أدوارًا وأفعالًا مختلفةوفضلًاعن هذا ساعدته هذه الحكايات الشعبية العربية"جوته"في شيخوخته على التغلب على الكآبة،ونحصل على صورة جديدة كل الجدة عن فن القصة والرواية عند"جوته"متمالاحظ العلاقة المتينة التي كانت قائمة بينه وبين ألف ليلة وليلة،والتي أغفلها البعض،لقد كان جوتة يقارن نفسه بوصفه شاعرًا وروائيًا بشهرزاد».

استلهم"جوته"الكثير من مواضيع أشعاره من حكايات شهرزاد،ونحس بنوع من الألفة بينه وبين قصص ألف ليلة وليلة،بل نجده تقمص دور شهرزاد في روايته،فتحدث على لسانها شعرًا ونثرًا،وأخذ طريقتها في السرد «واعتراف"جوته"طريقة السرد بعينها لأقاصيص مختلفة بصورة متداخلة،وقدمها على شكل"باقة الزهور" و"المتشابكة"التي اختارها بوعي تام كأسلوب في السرد من هنا،كما أكد هو نفسه ذلك،ولم يقتصر تأثر "جوته" بألف ليلة وليلة على البناء الشكلي فحسب،إذ استلهم بالقدر نفسه،وفي العديد من الحالات مادة وموضعات ملموسة من هذا الاستلهام أعمال أدبية دبجها في مراحل حياته كافة ابتداء من عمله الدرامي المبكر"نزوة العاشق" وانتهاء بآخر أعماله،وهو القسم الثاني من"فاوست"ولقد استعار مجموعة متكاملة من الموضوعات الأساسية ومجريات من المشاهد من ألف ليلة وليلة مثلما استعار منها صيغة السرد في حد ذاتها،ولكن لايسعنا في هذا العرض السريع إلا الاكتفاء ببعض المختارات التي تمثل هذه الاستعارات والاستلهامات».

اتضح لنا محاكاة "جوته" لأسلوب شهرزاد في سرد أعماله القصصية مثل"باقةالزهور"و"المتشابكة"واستوحى مشاهد كاملة من قصص ألف ليلة وليلة «وفي مسرحيته المبكرة "نزوة العاشق" التي كتبها وهو ابن السبع عشرة سنة ،كان "جوته" قد استعار لبطلته من إحدى قصص ألف ليلة وليلة الاسم العربي"أمينة"،لكنه لم يأخذ الاسم فحسب،بل استعار كذلك المعالم الكلية لهذه الشخصية التي تلاحقها الغيرة،ويتطابق المغزى الذي يسود هذه المسرحية مع المغزى،الذي انطوت عليه القصة الواردة في ألف ليلة وليلة،ففي كلتا الحالتين يدفع رجل جامح الغيرة للندم على شكه وسلوكه الأناني الفظ».

وظف "جوته" في مسرحيته المبكرة"نزوة العاشق"شخصيات عربية بسلوكياتهاوإيحاءاتها،بل تطابق مغزى المسرحية مع ماجاء في قصص ألف ليلة وليلة«ومن أجل تبيان الطريق الذي يوصل "فاوست" إلى "هيلينا" استخدم الشاعر الأسلوب الذي سردت به أقاصيص ألف ليلة وليلة رائعة الطريق الطويل الموصل إلى كسب وُد أميرة من الجن تعيش في عالمنا،وفي الفصل الأول من القسم الثاني من فاوست يوجد كذلك الكثير من المؤثرات التي تعود أصولها إلى ألف ليلة وليلة،وفي نهاية الفصل الخاص بالمناظر السحرية،التي رافقت تنكر الأشباح أثنى "جوته" على ألف ليلة وليلة ،وأشاد بشهرزاد،و ذلك على لسان القيصر،وهو يثني على مفيستوفليس هذا السيد المسؤول عن إمتاع القيصر وتسليته،إذ قال في مشهد "حديقة السرور"البيت رقم 6031 ومابعده :أي حظ طيب هذا الذي قادك إلى هنا

مباشرة من ألف ليلة وليلة ؟.

لو استطعت أن تتشبه بشهرزاد في خصوبة عطاياها لوعدتك وعدًا صادقًا بأسمى الهدايا في هذا الموضع».

صرح"جوته" في أكثر من موضع بأنه ينقل عن ألف ليلة وليلة أسلوبًا وموضوعًا،واستلهم"جوته" أسلوب شهرزاد في رواية أحداث قصته «وأنهى لتوه كل فصول القسم الثاني من"فاوست" التي كان لألف ليلة وليلة تأثير كبير فيها ،وعندما يأخذ المرء هذا بعين الاعتبار،يتيسر عليه تفهم الباعث الذي دفع"جوته"لأن يصرح علانية هنا،والآن بالذات باعترافه بأستاذية شهرزاد».

اعترف"جوته" بمهارة الراوية الشعبية شهرزاد في السرد،وكما أنهأخذ منها في مواضيع كثيرة في قصصه،واستقى الكثير من الخصائص الفنية من نص ألف ليلة وليلة « وتناول الشاعر الألماني "جوته" في مسرحيته "قضية العقل والقلب"أو "قضية المنطق والعاطفة"والتي لعبت فيها شخصية شهرزاد في قصص ألف ليلة وليلة دورًا أساسيًا ومحوريًا وفي مسرحية فاوست للشاعر الألماني "جوته" نجده قد جعل فاوست مُتمردًا يتذوق طعمًا للسعادة ...ويظل هكذا حتى يهتدي أخيرًا إلى أن الحقيقة المجردة فوق قدرة العقل».

جعل "جوته" من شخصية فاوست فيلسوف متأمل في قضايا فكرية،ومنها "قضية العقل والعاطفة"وهي علاقة جدلية بينهما ليخلص "فاوست" إلى عجز العقل عن الوصول إلى الحقيقة النهائية،وكانت شهرزاد في قصص ألف ليلة وليلة قد تعرضت إلى تلك المسائل،وهناك قضايا فنية ألهمت"جوته" في مسرحيته«ويعثر المرء أيضًا في حكاياته الفنية على وفرة من السمات المستقاة من ألف ليلة وليلة ،وينطبق هذا على حكاية "باريس الجديد"Der Neue Paris مثلماينطبق على الحكاية الخرافية،التي وردت في قصته"أحاديث مهاجرين ألمان"أما في "سنوات تجوال "فلهلم مليستر"فإن الشاعر يلمح بصورة جلية إلى قصتي علاء الدين والمصباح السحري وحلاق بغداد،كما استعان في الجزء الأخير من روايته "الأنساب المختارة"بقصة "أبو الحسن وشمس النهار" من ألف ليلة وليلة ،بينما نجد أنه استفاد في الأقصوصة Novelleمن حكاية الأمير أحمد والجنية باريبانو ».

أخذ الأدباء الألمان من قصص ألف ليلة وليلة تقنيات السرد،ومنها المشاهد القصصية والشخصيات،وكما أننا نجد«أن الأديب الألماني"فيلهلم هاوف"قد استفاد من الترجمات والمختارات المتعددة من"ألف ليلة وليلة"الأمر الذي ساعده على وضع حكايات كثيرة يندرج بعضها في إطار القصص الشرقي».

استخدم فيلهلم هاوف" أسلوب سرد حكايات"ألف ليلة وليلة" فألف قصصًا ألمانية بنكهة عربية وشرقية رغم اختلاف البيئة الاجتماعية الألمانية عن الثقافة العربية «ولقد اهتم المقارن بما فيه الكفاية بالأعمال الأدبية المستلهمة لألف ليلة وليلة،خلال القرنين الأخيرين...ومن الذين تأثروا بحكايات"ألف ليلة وليلة"الشاعر القصصي الألماني" كرستوفماريفيلند"،ومن بين القصائد قصيدته الطويلة "حكاية الشتاء" وقد ذكر صراحة أنها عن حكاية من حكايات "ألف ليلة وليلة"».

ظهر تأثير قصص ألف ليلة وليلة في الشعر القصصي الألماني عند كرستوفماريفيلند"، الذي صرح بأن موضوعها مقتبس من قصص ألف ليلة وليلة،ومنه فقد شكلت قصص ألف ليلة وليلة مصدرً إلهام للأدباء الألمان،ونؤكد على أهمية قصص ألف ليلة وليلة«إذ يصبح نص ألف ليلة وليلة المرآة التي أطل منها الغرب على الشرق مماحدا بالأوروبيين إلى جلو الصدأ عنها لتظهر أكثر إشراقًا،فقد حاكوا على منوال هذا النتاج نسيجًا من حكايات أشبهتها في مضمونها وإطارها العام،ولكنهم لم يستطيعوا أن يصعدوا بها إلى ذلك الإبداع الفني الذي صاغه لسان شهرزاد عبر ألف ليلة وليلة من الزمان».

إن تعدد الترجمات لحكايات ألف ليلة وليلة لهو دليل قاطع على جمالية السرد في تلك الحكايات العربية،وقد شكلت جسر تواصل بين الشرق بسحرها وجمالها،والغرب بإقدامه بالبحث عن جديد المعرفة«ومن مظاهر اهتمام بقصص ألف ليلة وليلة مارأيناه من إقبال شاعرين ألمانيين كبيرين متعاصرين هما "هوجوفونفمنستال"و"راينز ماريا ريكله"،وتنطلق أعمال هوفمنستال بما تركته قصص ألف ليلة وليلة من أثر فيها، فأسطورية الليلة الثانية والسبعون بعد الستمائة التي دونها عام 1895ومسرحيته القصيرة "زواج زبيدة"التي كتبها سنة1899 شاهدة بذلك».

إنَّ "هوجوفونفمنستال"و"راينز ماريا ريكله"من أكثر الشعراء الألمان تأثرًا بقصص"ألف ليلة وليلة"،ففي شعر«هوجو فون هوفمنستال أثر ألف ليلة وليلة بقصيدة من الشعر في جمالها وسحرها،وإن كانت من صنع عدد من الشعراء،وهي مع هذا التعدد في مؤلفيها تتناسق في أجزائها،وتبدو كلًا متكاملًا،وانتقل الإعجاب بهذه القصص الشرقية من العامة إلى الخاصة حتى روى عن فولتير أنه لم يزاول فن القصص، إلا أن قرأ ألف ليلة وليلة».

أثرت طريقة السرد الخرافي لقصص ألف ليلة وليلة في الشعر الألماني الحديث ،واستلهم الشعراء الأساطير العربية كرموز عبرت عن دلالات إيحائية ضمن السرد القصصي،وظهر لنا أن شخصية شهرزاد لها أهمية أكثر من غيرها «فأصبحت شخصية شهرزاد، وهي أبرز شخصيات ألف ليلة وليلة شخصية عالمية ،وذلك بعد اصطباغها بالصيغة العربية ،فقد انتقلت إلى الآداب الأوروبية».

شكلت شخصية "شهرزاد" محور اهتمام الأدباء ،فأضحت نموذجًا للسرد في الآداب الغربية،وانفردت بطريقتها الخاصة في السردية العربية القديمة «وإن الباحثين لاحظوا أوجهًا عدة للشبة بين القصص العربي ،وبين القصص التي عرفت في أوروبا في العصور الوسطى مثل قصة "إيزولد ذات اليد البيضاء"و"فلورا،أو الزهرة البيضاء" وهذه الأخيرة شديدة الشبه بقصة "القاسم وتيفوليت" وهي ذات الأصل العربي ، ومن المعروف أن الأوربيين كانوا قد افتتنوا بقصص ألف ليلة وليلة فترجموها ».

لايخفى على أحد دور"شهرزاد" في سرد قصص ألف ليلة وليلة، ونجد آثارها في السردية الأوروبية ،فقصص مثل"إيزولد ذات اليد البيضاء"و"فلورا،أو الزهرة البيضاء"هي وليدة مهارة "شهرزاد" في الحكي والقص الشعبي .

ثانيًا– أثر أدب السير العربية في الآداب الغربية :

نشأت في السرد العربي القديم فنون سيرية عربية كثيرة،ومن أهمها السيرة النبوية التي اعتبرت مصدر السير الأدبية كلها.

1–أثر السيرة النبوية في الآداب الغربية:

اختصت السيرة النبوية بحياة النبي محمد ﷺ وأثاره ومناقبه الحسنة،وكانت أنموذجًا للأدباء العرب والأجانب ، ومن الأدباء في أوروبا وأمريكا من تأثر بأسلوب السرد في السيرة النبوية .

أ– أثر السيرة النبوية في الأدب الألماني:

يعد "جوته" من الأدباء الألمان القلائل الذين تأثروا بالأدب العربي القديم، ومن فنون السرد العربي القديم تأثر "جوته" السيرة النبوية«وقام"جوته" بتأليف قصيدته المسماة" نشيد محمد"والتي عبرفيهاعن مدى حبه لرسول الله ﷺ وتُصور القصيدة النبي ﷺ بصفته هاديًاولكن للأسف لم يتم"جوته" هذا العمل،وإن كان سيظل بفكره وأدبه عنوانًا للتسامح والرؤية المنصفة للإسلام».

رجعت معظم إبداعات"جوته"إلى المصادر السردية العربية،وكانت السيرة النبوية من أهم مصدر "جوته" في شعره القصصي فعلاقة"جوته" بالرسول محمد(ﷺ) هي علاقة محبة واحترام وتقدير لشخصية النبي العربي ﷺ ،وظهرت مشاعره الصادقة في قصيدته الشعرية تحت عنوان " نشيد محمد" ،وأكد "جوته" على نشر ثقافة التسامح بين الشعوب .

ب– أثر السيرة النبوية في الأدب الأمريكي:

إن الأدب الأمريكي من الآداب قليلة الاحتكاك بالثقافة العربية الإسلامية وفي هذا المجال «نشر الدكتور"مايكل هارت" كتاب عنوانه "المائة الأوائل" فقدم فيه شخصية النبيﷺ على غيره من أبرز شخصيات الدنيا وعلمائها وفلاسفتها».

يعد كتاب "المائة الأوائل" أهم مرجع أمريكي تحدث عن حياة النبي محمد ﷺ، وأثاره بأسلوب موضوعي ،وجعل فيه الرسول محمدﷺ في مقدمة الشخصيات المأثرة في العالم، وإن حصل الخلاف رأي الكاتب.

ج– أثر السيرة النبوية في الأدب الروسي:

أثرت السيرة النبوية في السرد الروسي الحديث ، وفي مجال الشعر«كان بوشكين في طليعة الشعراء الروس الذين استلهموا السيرة النبوية في القصائد الشعرية ،حيث تناول في قصيدته "قبسات من الرسول" المرحلة المبكرة من النبوة».

كان احتكاك الأدب الروسي بالأدب العربي قليل جدًا ، ومع ذلك نذكر دور الشاعر بوشكين الذي سرد في شعره حياة النبي في سنوات البعثة،ومنه نؤكد على أهمية شخصية النبي محمد ﷺ التي شكلت مصدر إلهام للأدباء المسحيين مثلهم مثل الأدباء المسلمين وذلك لأنه حقق نجاحات كثيرة ،وكان قائدًا عظيمًا .

2– السيرة الذاتية بين السردين العربي والغربي :

ظهرت في تراثنا العربي أشكال عديدة من السير الذاتية ،ومنها الرسائل الأدبية «وقد سبقت الإشارة إلى أن الرسائل في بعض اتجاهاتها ، وأشكالها تعد نوعًا من السيرة الذاتية لأصحابها،فإن خير مثال على ذلك كتابات "الجاحظ"،وكذلك في كتابات أبي بكر الخوارزمي في رسائله».

يعد الجاحظ أبرز أديب كتب في الرسائل،فحملت رسائله طابعًا أدبيًا،وسرد في بعضها جوانب هامة من حياته الشخصية ومنه فقد تعددت أشكال السرد في السير، وقد وجدنا أن السيرة الذاتية العربية حظي باهتمام الأدباء الغربيين كذلك .

رجعت بدايات فن السير الذاتية في الأدب الغربي«إلى الاعترافات التي ذاعت في"اعترافات القديس" أوغسطين،وتوالت بعد ذلك اعترافات جان جاك روسو"واعترافات مدين أفيون"لتوماس دي كينسي"،ومن الواضح أن الاعترافات مهدت لظهور فن

السيرة الذاتية عند الغرب،وهناك من ألوان السيرة الذاتية مايعرفُ باليوميات،وهي من الأشكال السردية مع الإشارة إلى تفوق العرب في أدب السير لتعلقه بخصوصية الثقافة العربية،التي تميل لجمع وتدوين المآثر والبطولات الفردية أو الجماعية».

إنَّ اليوميات هي عبارة عن ترجمة خاصة لحياة الأديب،وتعدالاعترافات القديس تقليد أوروبي ارتبط بالديانة المسيحية «وسير القدسين هذه ليست حكايات بحصر المعنى،إنما هي أمثال ، وإذا كانت لاتعلمنا بشيء جديد عن حياة القديس ،وهي تنقل القارئ إلى جو من القداسة والكمال ،حيث لكل شيء لون الحكاية المليئة بالنور والرشاقة والعذوبة ».

شكلت الاعترافات بدايات السير الأوروبية ، وكان للأدباء العرب قصب السبق في مجال فن السير، ويعد اعتراف الأديب في نصه الأدبي بمثابة سرد أخبار حول سيرته الذاتية،ومع سبق الأدب العربي بسنين في هذا المجال،ولكون الأديب العربي مهتم بتدوين البطولات والحروب والأنساب،وتلك خاصية إيجابية موجودة في الثقافة العربية،وأدت إلى تطور فن السير العربية

ولقد اهتم الأديب الألماني"جوته"بالسير العربية القديمة،وحاول محاكاتها في كتابة السيرة الذاتية « فالسيرة الذاتية في نصه" شعر وحقيقة" تخبرنا بأن جوته كان يشعر في سن الثانية عشرة بدافع داخلي إلى تعلم اللغة العبرية ».

تأثر الأديب الألماني"جوته"بنوع السير العربية، وحاول تمثلها في نصوصه،وكان ل"جوته"ميل نحو محاكاة فنون السرد العربية عمومًا بمافيها فن السيرة الذاتية« وقد يُترجم بعض الأدباء لحياتهم في قصص يتفاوت نصيب الخيال فيها مثل "ديفيد كوبرفيلد" لتشارلز ديكنز" أو يتناول الأديب بعض جوانب حياته لتكون ركائز أساسية كما في أغلب أعمال "سومرست موم».

اختلفت السيرة الذاتية من أديب إلى آخر،فهناك من يسرد الحقائق كما هي في الواقع ،وهناك أدباء اعتمدوا الخيال كما هو الأمر عند "ديفيد كوبرفيلد" لتشارلز ديكنز" .

3-أثر سيرة عنترة في الآداب الأوروبية :

تعود الأدباء العرب على كتابة سيريهم الذاتية في نصوص نثرية،وهناك سير ألفها الرواة ، ومنهاسيرة عنترة بن شداد العبسي «وأما عنترة بن شداد فيظهر لنا بمظهرين اثنين رئيسيين رجل البطولة ورجل الغرام،وذلك إلى حد أسطوري وبطولة عنترة خاضعة لحبه،موجهة إليه ،وصادرة عنه».

شملت سيرة عنترة أبرز أحداث بطولاته وشجاعته في الجاهلية،وتأثر الأدباء بقصته كثيرًا،فقد صورت قصة عنترة مظاهر البطولة والفروسية في أسمى معانيها ، وبالإضافة إلى ذلك الطابع الملحمي الذي اتصفت به «سيرة عنترة هي أكبر القصص الحماسية العربية ،وهي أحسن القصص العربية وأكثرها فائدة ،وقد عني الإفرنج بنقلها إلى ألسنتهم كاملة وملخصة».

اهتم الفرنسيون قديمًا بموضوع الخرافات عند العرب،وكان نقلهم لسيرة عنترة من باب الاهتمام بالسرد العربي القديم ،ولقد أثرت سيرة عنترة في الأدب الأوروبي بطريقة غير مباشرة «وأما عنترة بن شداد فيظهر لنا بمظهرين اثنين رئيسيين رجل البطولة ورجل الغرام،وذلك إلى حد أسطوري وبطولة عنترة خاضعة لحبه، موجهة إليه ،وصادرة عنه».

شملت سيرة عنترة على أبرز أحداث بطولاته وشجاعته في الجاهلية، وتأثر الأدباء بقصته كثيرًا، فقد صورت مظاهر البطولة والفروسية في أسمى معانيها،وبالإضافة إلى ذلك الطابع الملحمي الذي اتصفت به،وفيما يراه د.جرجي زيدان أن الرواة « نسبوا إلى عنترة مقابلة المائة والمائتين أو أكثر من الرجال وحده،وذلك مع بعد احتماله لايخالف نواميس الطبيعة،وأما الإفرنج في قرونهم الوسطى،فإنهم نسبوا إلى الإسكندر المقدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعية،فقد قالوا أنه لقي في أثناء فتوحه أقوامًا نصف أجسادهم السفلى آدمي والنصف العلوي وحشي ..وأنه حارب جنودًا من السلاحف وأخرى من التنين ».

نلاحظ هنا حجم المبالغة والتهويل في القصص الشعبي ، إذ يتم تصوير البطل بأنه إنسان خارق للعادة يتحدى الصعاب،على نحو مافعل الإفرنج في وصف بطولات الإسكندر المقدوني، وهي بطولات مزعومة لايقبلها العقل .

ثالثًا– أثر السرد الاجتماعي العربي القديم في الآداب الغربية الحديثة :

احتل الموضوع الاجتماعي مكانة هامة في الأعمال السردية العربية،وعكست تلك الأعمال صور من الأوضاع الاجتماعية السيئة بأسلوب ساخر عند الأدباء العرب، وتمثل أدباء الغرب هذا الأسلوب في نصوصهم السردية.

1–أثر موضوع البخل العربي في الآداب الغربية الحديثة :

تناول السرد العربي القديم مواضيع اجتماعية كثيرة منها البخل، ونشير إلى أنه ظاهرة دخيلة على المجتمع العربي.

أ– ظاهرة البخل في السرد العربي القديم :

مماهو معلوم أن البخل هو ظاهرة إنسانية اشتركت فيها جميع الثقافات الإنسانية،ولذلك نجد البخل كموضوع أدبي هو قاسم مشترك في التعبير بين الآداب العالمية،ورجعت بدايات الكتابة في ظاهرة البخل إلى الأدباء العرب «وقد جمع الجاحظ في كتابه البخلاء الكثير من الطرائف والنوادر والمضحكات،التي تعرض لها في حياته مع هؤلاء البخلاء،ويعد الجاحظ أبرز أديب تحدث عن ظاهرة البخل».

تأثر الأدباء بالجاحظ في طريقة سرده الاجتماعي لموضوع البخل في إطار هزلي مضحك،ومع كثرة المصنفات الأدبية في ظاهرة البخل ، إلا أنَّه كان للجاحظ صدى أكثر من غيره من أدباء عصره.

ب– أثر نموذج البخيل العربي في السرد الغربي الحديث :

استلهم أدباء الغرب نموذج البخيل العربي من الجاحظ،ولقد تكرر اقتباس المضمون المتعلق بنموذج البخيل عند الأدباء العرب في الأدب الأوروبي عدة مرات،حيث اقتبسه"جيلي"فيملهاه"لاسبورتا"عام1543م،وجونسون في ملهاته"القضية تغيرت" عام 1597م ثم اقتبسه موليير عام 1668م في مسرحيته"البخيل"وجرى الحديث عن البخل في القصص العربية والغربية كنموذج إنساني مقيت،واختلفت طرق تصوير البخل عند الأدباء».

اقتبس الأديب الفرنسي موليير نموذج البخيل من قصص الجاحظ حول موضوع "البخل" في مسرحيته الشهيرة "البخيل" وهي بنفس عنوان كتاب الجاحظ،وحصل تشابه بينهما في صورة البخيلفي كونه شخص مذموم،ولايخفى تأثر أدباء الغرب ببخلاء الجاحظ عن طريق محاكاتهم لأسلوبه في السرد الاجتماعي،فأخذ عنه"جيلي" و"جونسون" في نصيهما«وقد صوّر "موليير" في مسرحية "أرباجون" نموذجًا إنسانيًا للبُخل ،وتعمق في تصويره أكثر مما فعل "بلوتوس" بحيث ظهرت تلك الرذيلة الاجتماعية في صورها المختلفة الهدامة في علاقة البخيل بأولاده،وفي نظرته إلى المجتمع».

جعل"موليير"من مسرحيته "أرباجون"معرضًا عامًا للبُخل،وصوَّر الحالات النفسية للبخيل على طريقة الجاحظ،وعلاقة البخيل بعائلته ومجتمعه ،كان له موقف سلبي من صفة البُخل،وكذلك تحدث شكسبير عن البخل«ومن الواضح أن شكسبير قد بلور في شخصية "شايلوك" كل خصائص البخل والتقتير والحقد والكراهية والعنصرية وغير ذلك ،تناول الجاحظ في كتابه البخلاء نماذج بشرية تجلت فيها مظاهر البخل ،ولكنه لم يجد في هذه الظاهرة تلك النزعة "المأسوية"التي برزت في تناول الغربيين لافي أعمالهم الأدبية ،وإنما وحد فيها مادة خصبة للتهكم والسخرية والتدبر والفكاهة » .

سبق الجاحظ في كتابه البخلاء في عرض شخصيات للبخلاء،واعتبرها نماذج بشرية سلبية وغير سوية ،واعتمد على أسلوب السخرية والتهكم ، وتأثر شكسبير بأسلوب الجاحظ ،فصور شخصية "شايلوك" وكشف خصائصها النفسية ومنها الحقد والكراهية والعنصرية،والملاحظ هو تناول ظاهرة البخل من وجهة اجتماعية ودينية –بعيدًا في بعض الأحيان– عن الجوانب الفنية ،ومنه كانت قصص الجاحظ حول "البخل"أهم مصدر في السرد الاجتماعي ،الذي تأثر بها الكثير من الأدباء في أوروبا وخاصة موليير، التي رجعت إبداعاته كلها إلى بخلاء الجاحظ .